# القلم والبندقية

أخي س .

أكتب إليك الآن ، والساعة تقارب السابعة مساء . وأنا أشعر براحة نفسية ، أود لو أستطيع تثبيتها وتحويلها إلى حالة دائمة .

عدت منذ ساعة تقريباً من ميدان الرماية ، حيث قمنا بآخر أعمال التدريب ، وحيث أظهر أفراد المقاومة الشعبية من المهارة ما ليس غريباً على جيل عربي مناضل ، يريد أن يكون أمتن الأجيال صلة بالأجداد المغاوير ، وهم من أشهر المحاربين في العالم .

ولا أكتمك أنني كنت ، وأنا أحتضن بندقيتي ، وأرسل رصاصاتي إلى قلب الدريئة (١) ، أفكر في شيء آخر ، قد لا يجد غيري صلة بينه وبين البندقية .

كنت أفكر في قلمي ، أفكر في هذه الآلة التي أعبر بها عن فكري ، وبالتالي عن شخصيتي ، عن وجودي .

القلم والبندقية : آلة الفكر ، وآلة الحرب ، آلة البناء ، وآلة الهدم ، آلة الحياة والخلود ، وآلة الموت والفناء . ما هي الصلة بينهما ؟ ما وجه القرابة بين هذه الآلة الكبيرة الخطرة ، وتلك الهنة الصغيرة المبدعة ؟

أنا أكتب ، فأنا مفكر . وأنا مفكر ، فأنا موجود . عمل القلم يؤدي بنا إلى إثبات وجودنا على الطريقة التقليدية المعروفة. فهل نستطيع أن نثبت وجودنا بالبندقية أيضاً ؟ هل يمكننا القول : أنا مسلح فأنا أقاتل ، وأنا أقاتل فأنا موجود ؟ هل في مقدورنا أن نثبت وجودنا بمقدرتنا على إزالة غيرنا من الوجود ؟ هل يكون من أسرار الحياة العميقة ، أسرارها الكبرى ، أن إثباتها في كائن من الكائنات قد يكون بحذفها من الوجود في كائن آخر ؟

ولم لا يكون الأمر كذلك ؟ تفكيرنا ذاته إنما يدل على وجودنا لأننا — بواسطته — نقضي على فكرة العدم ، لأننا نخلق دليلا حياً ، دليلا ناطقاً ، على حقيقتنا المنتصبة في المكان والزمان تتحدى العدم المنهزم ، العدم الصريع .

أنا المؤمن بالقلم والفكر ، وقوة القلم والفكر ، وعظمتهما ومقدرتهما الخارقة ، وقيمتهما الكبرى ، في نطاق المطلق ، لا بالنسبة إلى أي شيء آخر ، لم أجد غضاضة في أن أحمل البندقية وانتظم في الصفوف ، وأتدرب على القتال ، وأعد نفسي للصمود في وجه أي عدو يفكر في اجتياح بلادي والقضاء على قوميتي . ماذا أقول ؟ لم أجد غضاضة ؟.. بل وجدت من باب الشرف والفخر أن أصبح جندياً من جنود المقاومة الشعبية ، وألا أتقيد بشرط السن فأرى أن سن الأربعين التي نص عليها القانون يجب أن ترفع إلى الستين . أنا في الخامسة والأربعين وأشعر بأنني شاب في ربيع العمر . ومتى كان الشباب يقاس بعدد السنين ؟ إنه روح وحيوية ، ومقدرة على النضال وبذل المجهود ، وإتيان أعمال متنوعة لا تصدر عادة الا عن الشباب .

أول وجه من وجود القرابة — اذن — بين القلم والبندقية هو إثبات الوجود ، إثبات الشخصية ، التعبير عن إرادة الحياة ذاتها .

فأنا — كمواطن — أحتل مكاناً في بلادي ، أكون لبنة في بناء قوميتي ، لبنة قادرة على التفكير ، قادرة على المقاومة . تكسب حق وجودها بطريقة ايجابية عندما تنتج فكراً ، أو أدباً ، أو فناً ، أو عملا بانياً ، عندما تخترع ، أو تبتكر ، أو تقتبس ، أي عندما تؤدي دورها الخاص بها في دعم هذا البناء وتقويته والزيادة في ارتفاعه ، ومتانته ، وجماله ، وشهرته ،

(١) الدريئة : الاسم المستعمل للهدف عند العسكريين . وهي عند العرب حلقة يتعلم عليها الطعن . وهو استعمال صحيح موفق .

بين قيوده الانسانية التي وضعتها حوله الحياة .. يذهب وكل ما يتركه وراءه هو المرارة .. هو الضيق .. وهو اليأس ..

أكان توفيق الحكيم يريد ان يقول هذا حقاً .. أكان يريد أن يرسم بهذه الخطوط العريضة حيرة هذا الانسان العاجز وتخبطه ويأسه .. اكان يريد ان يقول ان الحب هباء والجسد هباء والمعرفة هباء .. وان الانسان عاجز امام هذه القوى وحسب .. ! لا أظن هذا .. بل أحسب ان توفيقاً أراد ان يرسم ما وراء هذا الصراع ما يبني انتصار الانسان على طبيعته .. فراغ ، قمة زائفة لا تستقر على الارض ولا تصعد الى السماء . وأحسب انه اراد ان يعبر عن حيرتي وحيرتك وقلقي وقلقك وتخبطي وتخبطك نحن ابناء البشر عبيد هذا الجسد بكل مافيه من عواطف ونوازع وقوى . ثم اراد ان يعبر عن هذا الزوال الذي يلقي على صراعنا المعنى الوحيد .. العجز .. عبث ان نتخلى عن طبيعتنا ، عن تركيبنا ، عن معنى وجودنا .. عبث لا شيء وراءه .

شهرزاد — خيال .. شهريار آخر الذي يعود .. يولد غضاً نديّاً من جديد .. اما هذا فشعرة بيضاء قد نزعت .. »

القاهرة

**فاروق خورشيد**

ورسالته الحضارية الخاصة به دون سواه . وتكسب حق وجودها بطريقة سلبية عندما تقاوم الغزو . والاجتياح . والطغيان . والاستعباد . والاستغلال غير المشروع ، عندما تقاوم الفناء وتساهم في حفظ بقاء الأمة . وسلامة الوطن .

آلتها في الحالة الأولى القلم . أو الريشة ، أو الإزميل . أو الآلة باوسع معانيها ، الآلة ـ الاداة . الآلة ـ الوسيلة .

وآلتها في الحالة الثانية البندقية ، أو المدفع ، أو القنبلة . أو أي سلاح من الاسلحة المعروفة .

والوجه الثاني من أوجه القرابة بين الآلتين ، هو الإيمان بقوة الإنسان وعظمته ـ كانسان .

فأنا لولا إيماني بأن لدي رسالة أؤديها . فكرة مفيدة أنشرها في الناس ، لوحة جميلة ترتفع بالناظر إلى أجواء علوية من المتعة والبهجة وفرح النفس . لما أمسكت بقلمي ، ولما وضعت سواداً على بياض .

وأنا لولا اعتقادي بأنني قادر على حماية وطني والمحافظة على قوميتي ، وجدوى نضالي الخاص المنسجم مع نضال سائر المواطنين . لما حملت بندقية ولا استعملت سلاحاً .

والوجه الثالث من أوجه القرابة ، هو وجه خاص ، يتعلق بمهمتي التي طبعت كل كياني بطابعها المتميز من غيره .

فأنا كمحام دائماً ، وكصحفي من وقت لآخر ، أرى في القلم ـ قبل كل شيء ـ آلة للدفاع عن الحق ومحاربة الباطل ، للدفاع عن حقوق الفرد وحقوق الجماعة ، ومقاومة طغيان الأفراد وطغيان الجماعات .

ولذلك كانت الحياة ، بالنسبة إلي ، تلخص في معركة دائمة بين الحق والباطل ، بين الهجوم والدفاع ، بين العدالة والظلم ، وأنا أخوض هذه المعركة بكل ما أوتيت من قوة . حتى ليخيل إلي أن اكبر لذه يمكن الوصول إليها هي الاستشهاد في هذه المعركة .

وليس الفارق بكبير بين الدفاع عن حقوق الأفراد والجماعات داخل الوطن الواحد ، والدفاع عن حقوق مجموعة المواطنين ، ضد أي اعتداء يقع عليهم من الخارج .

لذلك كانت البندقية في يدي كالقلم سواء بسواء . ولذلك رأيتني في ميدان الرماية احتضن بندقيتي بمثل القوة والمحبة واللذة التي أمسك بها قلمي . ولذلك آمنت بان مقارعة الاعداء سلاحاً بسلاح ، تشبه إلى حد بعيد مقارعة الخصوم حجة بحجة ، وما دام ليس هنالك من محكمة دولية يترافع أمامها وتوصل كل شعب إلى حقه المشروع دونما تفضيل أو محاباة بين شعب وآخر ، فان البندقية ستبقى ضرورية للاقناع ـ للدفاع عن الحقوق قبل انتزاعها ولاستعادتها إذا كانت قد انتزعت .

وبعد فأرجو أن نلتقي في ساحة المعركة الفاصلة بين العروبة واعدائها ، واسلم ـ لأخيك

**سعيد أبو الحسن المحامي**


## دار الآداب تقدّم

**فؤاد الشايب**

مؤلف « تاريخ جرح »

يطلع على القراء العرب

بعد صمت عشرة أعوام

**بقصة كل موظف عربي**

- مأساة نفس في صراعها مع عبودية الأقدار
- حكاية جيل يبحث عن مثله
- حياة تروى وقائعها يوماً بعد يوم في أوراق خلفها وراءه موظف

**يصدر قريباً**